مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّامِنَة)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَة النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْد الْمَكِّي]

www.menhag-un.com

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مَكَّةُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ

وَأَمَّا مَكَّةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا وَبُعِثَ نَبِيُّنَا ﷺ، فَمَكَّةُ تَقَعُ فِي بَطْنِ وَادٍ تُشْرِفُ عَلَيْهَا الْجِبَالُ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي؛ فَإِلَىٰ الشَّرْقِ يَمْتَدُّ جَبَلُ أَبِي قُبَيْسٍ، وَإِلَىٰ الْغَرْبِ يَحُدُّهَا جَبَلُ قُعَيْقِعَانَ، وَيَمْتَدَّانِ بِشَكْلِ هِلَالٍ فَيَحْصُرَانِ عُمْرَانَ مَكَّةَ.

وَتُعْرَفُ الْمَنْطِقَةُ الْمُنْخَفِضَةُ مِنَ الْوَادِي بِالْبَطْحَاءِ، وَيَقَعُ بِهَا الْبَيْتُ الْعَتِيقُ، وَتُحِيطُ بِهَا دُورُ قُرَيْشٍ.

أَمَّا الْمَنْطِقَةُ الْمُرْتَفِعَةُ فَتُعْرَفُ بِالْمَعْلَاةِ، أَمَّا عِنْدَ طَرَفَيْ هِلَالٍ فَتَقُومُ دُورٌ سَاذَجَةٌ لِقُرَيْشِ الظَّوَاهِرِ، وَهُمْ أَعْرَابٌ فُقَرَاءُ أَصْحَابُ قِتَالٍ، لَكِنَّهُمْ دُونَ قُرَيْشِ الْبِطَاحِ فِي التَّحَضُّرِ وَالْغِنَىٰ وَالْجَاهِ.

وَكَانَتْ صِلَاتُ النَّسَبِ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ؛ حَيْثُ إِنَّ قُرَيْشًا تَنْتَمِي إِلَىٰ كِنَانَةَ الَّتِي تَسْكُنُ قَرِيبًا مِنْ مَكَّةَ، كَانَتْ تُعْطِي -أَيْ: تِلْكَ الصِّلَاتُ فِي النَّسَبِ- مَكَّةَ عُمْقًا اسْتِرَاتِيجِيًّا، وَقَدْ وُثِّقَتْ صِلَةُ النَّسَبِ بِالْمُحَالَفَاتِ أَيْضًا.

كَانَ الْأَحَابِيشُ الَّذِينَ يَعِيشُونَ قَرِيبًا مِنْ مَكَّةَ حُلَفَاءَ لِقُرَيْشٍ أَيْضًا، وَكَانُوا يُسْتَخْدَمُونَ فِي حِرَاسَةِ الْقَوَافِلِ الْمَكِّيَّةِ، وَامْتَدَّتِ الْأَحْلَافُ لِتَشْمَلَ الْقَبَائِلَ الَّتِي تَقَعُ عَلَىٰ خُطُوطِ التِّجَارَةِ الْمَكِّيَّةِ إِلَىٰ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَالْيَمَنِ.

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَدْفَعُ لَهُمْ جِعَالَاتٍ مُعَيَّنَةً، وَتُشْرِكُ زُعَمَاءَهُمْ فِي تِجَارَتِهَا، وَسُمِّيَ هَذَا بِالْإِيلَافِ، وَهُوَ الَّذِي أَوْجَدَهُ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ، بَلْ تَمَكَّنَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ مِنَ الْحُصُولِ عَلَىٰ حَقِّ التِّجَارَةِ دَاخِلَ أَرَاضِي الرُّومِ وَالْفُرْسِ بِالِاتِّفَاقِ مَعَ حُكَّامِهِمْ، وَتَوَصَّلَ إِلَىٰ عَقْدِ الْمُعَاهَدَاتِ مَعَهُمْ، وَتَوَصَّلَ إِلَىٰ مَسْلَكِ الْحِيَادِ بَيْنَ الْقُوَّتَيْنِ فَارِسَ وَالرُّومِ.

وَاقْتِصَادُ مَكَّةَ يَقُومُ أَسَاسًا عَلَىٰ التِّجَارَةِ، أَمَّا الصِّنَاعَةُ فَكَانَتْ قَلِيلَةً؛ أَبْرَزُهَا: صِنَاعَةُ الْأَسْلِحَةِ مِنْ رِمَاحٍ، وَسُيُوفٍ، وَدُرُوعٍ، وَنِبَالٍ، وَسَكَاكِينَ، ثُمَّ صِنَاعَةُ الْفَخَّارِ، وَالنِّجَارَةِ لِصِنَاعَةِ الْأَسِرَّةِ، وَالْأَرَائِكِ.

كَمَا أَنَّ الْمَوَارِدَ الِاقْتِصَادِيَّةَ الْأُخْرَىٰ كَتَرْبِيَةِ الْمَاشِيَةِ وَالصَّيْدِ كَانَتْ مَعْرُوفَةً، لَكِنْ بَقِيَتِ التِّجَارَةُ أَسَاسًا لِاقْتِصَادِ مَكَّةَ، فَكَانَتْ سِيَاسَةُ الْإِيلَافِ وَالْمُعَاهَدَاتِ سَبَبًا فِي ازْدِهَارِ مَكَّةَ، وَتَكَاثُرِ رُءُوسِ الْأَمْوَالِ فِيهَا بِسَبَبِ الِانْتِقَالِ مِنَ التِّجَارَةِ الْمَحَلِّيَّةِ إِلَىٰ التِّجَارَةِ الدَّوْلِيَّةِ.

وَسَاعَدَ النِّزَاعُ بَيْنَ الْفُرْسِ وَالرُّومِ عَلَىٰ ازْدِهَارِ طُرُقِ التِّجَارَةِ الْبَحْرِيَّةِ بَدَلَ الطَّرِيقِ الْبَرِّيِّ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ، فَكَانَتِ الْبَضَائِعُ تُنْقَلُ مِنَ الْهِنْدِ إِلَىٰ الْيَمَنِ ثُمَّ مَكَّةَ فَالشَّامِ، وَصَارَتِ الْقَوَافِلُ الْكَبِيرَةُ تُمَوَّلُ مِنْ قِبَلِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَكِّيِّينَ بِشَكْلِ أَسْهُمٍ تَزِيدُ وَتَنْقُصُ عَلَىٰ حَسَبِ قُدُرَاتِهِمُ الْمَالِيَّةِ.

وَهَكَذَا سَاعَدَتِ التِّجَارَةُ عَلَىٰ تَعْمِيقِ أَوَاصِرِ الْمُجْتَمَعِ الْمَكِّيِّ؛ إِذْ رَبَطَتْهُ بِالْمَصَالِحِ إِلَىٰ جَانِبِ وَشَائِجِ الْقُرْبَىٰ، لَكِنَّ هَذِهِ الْمُشَارَكَةَ لَمْ تَحُلْ دُونَ نُشُوءِ

طَبَقَةٍ غَنِيَّةٍ مُتْخَمَةٍ، وَأُخْرَىٰ مُتَوَسِّطَةٍ، وَثَالِثَةٍ مُعْدَمَةٍ؛ فَرُءُوسُ الْأَمْوَالِ الْكَبِيرَةِ بِيَدِ الْأَغْنِيَاءِ، وَهِيَ تَتَعَاظَمُ بِالتِّجَارَةِ وَالْإِقْرَاضِ الرِّبَوِيِّ لِلْمُحْتَاجِينَ، وَبِالِاسْتِثْمَارِ بِالزِّرَاعَةِ فِي الطَّائِفِ الْمُجَاوِرَةِ، وَهَكَذَا كَانَ مِنْ أَغْنِيَاءِ مَكَّةَ مَنْ يَأْكُلُ بِصِحَافِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فِي حِينِ كَانَ أَكْثَرُ أَهْلِ مَكَّةَ فُقَرَاءَ.

وَكَانَتْ تِجَارَةُ مَكَّةَ تَسْلُكُ أَحْيَانًا الطُّرُقَ الْبَحْرِيَّةَ إِلَىٰ جَانِبِ الطُّرُقِ الْبَرِّيَّةِ، لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَمْلِكُ أُسْطُولًا تِجَارِيًّا، بَلْ تَسْتَخْدِمُ السُّفُنَ الْحَبَشِيَّةَ فِي الْعُبُورِ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، أَمَّا السُّفُنُ الرُّومِيَّةُ فَكَانَتْ تَصِلُ إِلَىٰ مِينَاءِ الشُّعَيْبَةِ قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَ مَكَانَهَا جُدَّةُ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ رضي الله عنه.

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْصُلُ مِنَ الْحَبَشَةِ عَلَىٰ الْبَخُورِ، وَالْأَطْيَابِ، وَرِيشِ النَّعَامِ، وَالْعَاجِ، وَالْجُلُودِ، وَالتَّوَابِلِ، وَالرَّقِيقِ الْأَسْوَدِ.

وَتَحْصُلُ مِنَ الشَّامِ عَلَىٰ الْقَمْحِ، وَالدَّقِيقِ، وَالزَّيْتِ، وَالْخَمْرِ.

وَتَحْصُلُ مِنَ الْهِنْدِ عَلَىٰ الذَّهَبِ، وَالْقِصْدِيرِ، وَالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ، وَالْعَاجِ، وَخَشَبِ الصَّنْدَلِ، وَالتَّوَابِلِ كَالْبُهَارِ وَالْفُلْفُلِ وَنَحْوِهَا، وَالْمَنْسُوجَاتِ الْحَرِيرِيَّةِ وَالْقُطْنِيَّةِ وَالْكَتَّانِيَّةِ، وَالْأَرْجُوَانِ، وَالزَّعْفَرَانِ، وَالْآنِيَةِ الْفِضِّيَّةِ وَالنُّحَاسِيَّةِ وَالْحَدِيدِيَّةِ، وَكَانَتْ تَحْمِلُ حَاصِلَاتِ بِلَادِ الْعَرَبِ مِنَ الزَّيْتِ وَالْبَلَحِ وَالصُّوفِ وَالْوَبَرِ وَالشَّعْرِ وَالْجُلُودِ وَالسَّمْنِ.

www.menhag-un

الِاقْتِصَادُ التِّجَارِيُّ يَحْتَاجُ إِلَىٰ الْأَمْنِ، وَقُرَيْشٌ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ سِيَاسَةَ الْحِلْمِ وَاللِّينِ، وَلَيْسَ الْقُوَّةَ لِلْحُصُولِ عَلَىٰ غَايَتِهَا التِّجَارِيَّةِ، وَعَلَىٰ أَمَانِ طُرُقِهَا فِي تِجَارَتِهَا.

وَلَمْ تَدْخُلْ قُرَيْشٌ فِي حُرُوبٍ قَبْلَ الْإِسْلَامِ سِوَىٰ حُرُوبِ الْفِجَارِ الْأَرْبَعِ الَّتِي هِيَ حُرُوبٌ صَغِيرَةٌ وَمُنَاوَشَاتٌ، وَقَدْ شَهِدَ الرَّسُولُ ﷺ آخِرَهَا -وَهُوَ الْفِجَارُ الرَّابِعُ- وَعُمْرُهُ عِشْرُونَ سَنَةً، هَذَا هُوَ السَّائِدُ الشَّائِعُ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ -كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ جَلَّوَعَلَا- لَمْ يَشْهَدْ حَرْبَ الْفِجَارِ هَذِهِ. لَمْ تُحْرِزْ قُرَيْشٌ النَّصْرَ عَلَىٰ الْأَعْرَابِ فِي تِلْكَ الْمُنَاوَشَاتِ.

وَقَدْ سَاعَدَهَا عَلَىٰ تَحْقِيقِ الْأَمْنِ وُجُودُ الْكَعْبَةِ الَّتِي يَحُجُّ إِلَيْهَا الْعَرَبُ مِنْ شَتَّىٰ الْأَصْقَاعِ؛ حَيْثُ تُحِيطُ بِهَا أَصْنَامُهُمُ السِّتُّونَ وَالثَّلَاثُمِئَةِ؛ بَعْضُهَا جَلَبَهَا عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيُّ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، جَلَبَهَا مِنَ الشَّامِ كَهُبَلَ، وَبَعْضُهَا صُنِعَ مَحَلِّيًّا، وَبَعْضُهَا لَيْسَتْ مَصْنُوعَةً بَلْ هِيَ حِجَارَةٌ كَإِسَافَ وَنَائِلَةَ.

وَكَوْنُ مَكَّةَ مَرْكَزًا لِعِبَادَةِ الْعَرَبِ كَانَ يَمْنَحُ قُرَيْشًا الِاحْتِرَامَ، وَيُحَقِّقُ لَهَا الْإِيلَافَ مَعَ الْقَبَائِلِ وَالْحِمَايَةَ بِالتَّالِي لِتِجَارَتِهَا، وَحُرْمَةُ مَكَّةَ قَدِيمَةٌ تَرْجِعُ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَقَدْ ظَلَّتْ أَرْضًا مُقَدَّسَةً وَحَرَمًا آمِنًا حَتَّىٰ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ الَّذِي أَكَّدَ عَلَىٰ حُرْمَتِهَا وَقُدْسِيَّتِهَا، وَلَمْ يَقْتَصِرْ تَقْدِيسُ الْكَعْبَةِ عَلَىٰ الْمَكِّيِّينَ، بَلِ امْتَدَّ إِلَىٰ الْعَرَبِ فِي شِبْهِ الْجَزِيرَةِ، وَلَمْ تَتَمَكَّنْ بُيُوتُ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ مِنْ مُنَافَسَةِ الْكَعْبَةِ؛

كَبَيْتِ الْأُقَيْصِرِ، وَبَيْتِ ذِي الْخُلَصَةِ، وَبَيْتِ صَنْعَاءَ، وَبَيْتِ نَجْرَانَ، وَلَمْ تَنْجَحْ مُحَاوَلَةُ أَبْرَهَةَ لِتَحْوِيلِ الْحَجِّ إِلَىٰ الْقُلَّيْسِ -وَهِيَ الْكَنِيسَةُ الَّتِي ابْتَنَاهَا فِي صَنْعَاءَ- بَعْدَ أَنْ أَخْفَقَتْ حَمْلَتُهُ الْعَسْكَرِيَّةُ عَلَىٰ مَكَّةَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَخَمْسِمِئَةٍ مِنَ الْمِيلَادِ.

وَرَغْمَ وُجُودِ أَخْبَارٍ عَنْ سُكَّانِ مَكَّةَ الْقُدَامَىٰ، وَهُمْ: جُرْهُمٌ، ثُمَّ خُزَاعَةُ، ثُمَّ قُرَيْشٌ، فَإِنَّ مُعْظَمَ الْأَخْبَارِ تَخُصُّ قُرَيْشًا، وَكَثِيرٌ مِنْ أَخْبَارِهَا تُشْعِرُ بِأَنَّهَا صَالِحَةٌ لِلْبَحْثِ التَّأْرِيخِيِّ، وَلَيْسَتْ أُسْطُورِيَّةً، خَاصَّةً بَعْدَ أَنْ جَمَعَ قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ عَشَائِرَ قُرَيْشٍ، وَاسْتَوْلَىٰ بِهَا عَلَىٰ مَقَالِيدِ الْأُمُورِ بِمَكَّةَ -وَذَلِكَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ الْخَامِسِ لِلْمِيلَادِ، وَذَلِكَ يَتَطَابَقُ مَعَ التَّارِيخِ السِّيَاسِيِّ وَالْأَدَبِيِّ؛ لِأَنَّ تَارِيخَ الْأَدَبِ الْجَاهِلِيِّ لَا يَرْقَىٰ إِلَىٰ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ وَمِئَةِ سَنَةٍ قَبْلَ الْإِسْلَامِ- وَكَانَتْ بِيَدِ خُزَاعَةَ، وَوَزَّعَ رِبَاعَ مَكَّةَ وَخُطَطَهَا بَيْنَ قُرَيْشٍ، فَبَدَأَتْ تَبْنِي دُورَهَا بِالْحَجَرِ دَاخِلَ الْحَرَمِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَنْطِقَةً مُشَجَّرَةً خَالِيَةً مِنَ الْبِنَاءِ، وَكَانَ الشَّجَرُ مُقَدَّسًا لَا يُقْطَعُ، حَتَّىٰ قَطَعَهُ قُصَيٌّ فَتَجَرَّأَ النَّاسُ عَلَىٰ قَطْعِهِ.

ثُمَّ قَامَ قُصَيٌّ بِتَنْظِيمِ مَكَّةَ فَقَسَّمَ الْوَظَائِفَ وَالْوَاجِبَاتِ بَيْنَ أَوْلَادِهِ، وَهِيَ: الْحِجَابَةُ، وَالسِّقَايَةُ، وَالرِّفَادَةُ، وَاللِّوَاءُ، وَالنَّدْوَةُ. وَكَانَ قُصَيٌّ قَدِ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ دَارَ النَّدْوَةِ، وَجَعَلَ بَابَهَا إِلَىٰ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ، فَفِيهَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَتَشَاوَرُ فِي أُمُورِ السِّلْمِ وَالْحَرْبِ، وَفِيهَا تُجْرِي عُقُودَ الزَّوَاجِ وَالْمُعَامَلَاتِ؛ فَهِيَ دَارُ مَشُورَةٍ وَدَارُ حُكُومَةٍ يُدِيرُهَا الْمَلَأُ الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ زُعَمَاءَ الْأُسَرِ وَأَصْحَابَ الرَّأْيِ فِي مَكَّةَ، وَيَنْدُرُ أَنْ يَقِلَّ سِنُّ أَحَدِهِمْ عَنْ سِنِّ الْأَرْبَعِينَ.

وَيَتَقَيَّدُ النَّاسُ بِأَوَامِرِ النَّدْوَةِ عَادَةً وَعُرْفًا؛ فَلَيْسَ ثَمَّةَ قَانُونٌ مَكْتُوبٌ، وَلَيْسَ ثَمَّةَ رَئِيسٌ أَوْ حَاكِمٌ أَوْ مَالِكٌ فِي مَكَّةَ، وَلَا يَتِمُّ انْتِخَابُ أَعْضَاءِ النَّدْوَةِ بِالِاقْتِرَاعِ، بَلْ يُحَدِّدُهُمُ الْعُرْفُ، وَيُمَارِسُ رَئِيسُ كُلِّ عَشِيرَةٍ صَلَاحِيَّاتِهِ عَلَىٰ عَشِيرَتِهِ.

وَقَدْ فَرَضَ قُصَيٌّ الْعُشْرَ عَلَىٰ التُّجَّارِ الْقَادِمِينَ إِلَىٰ مَكَّةَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا، فَصَارَ أَحَدَ مَصَادِرِ الثَّرْوَةِ فِي مَكَّةَ، وَصَارَ أَمْرُ قُصَيٍّ فِي قُرَيْشٍ كَالدِّينِ الْمُتَّبَعِ اعْتِرَافًا بِفَضْلِهِ وَشَرَفِهِ وَيُمْنِهِ.

وَقَدِ اتَّسَمَ الْمَلَأُ بِالْمُحَافَظَةِ الشَّدِيدَةِ عَلَىٰ الْعَقَائِدِ وَالتَّقَالِيدِ وَالْأَعْرَافِ السَّائِدَةِ؛ لِتَأْكِيدِ حُقُوقِهِمُ الْمَوْرُوثَةِ وَمَكَانَتِهِمْ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَمَصَالِحِهِمْ الِاقْتِصَادِيَّةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَتَحَقَّقُ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الْأَوْضَاعِ السَّائِدَةِ وَوَحْدَةِ أَهْلِ مَكَّةَ؛ مِمَّا يُفَسِّرُ شِدَّةَ مُقَاوَمَتِهِمْ لِلْإِسْلَامِ عِنْدَ ظُهُورِهِ، فَقَدْ رَأَوْا فِيهِ تَهْدِيدًا لِوَحْدَةِ قُرَيْشٍ، وَأَغَاظَهُمْ جِدًّا أَنْ يُهَاجِرَ الْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، ثُمَّ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

لَقَدْ قَامَ أَبْنَاءُ قُصَيٍّ وَأَحْفَادُهُ بِأَعْمَالٍ مُهِمَّةٍ أَدَّتْ إِلَىٰ ازْدِهَارِ مَكَّةَ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ أَبْرَزَتْ مَكَانَتَهُمْ وَفَضْلَهُمْ وَشَرَفَهُمْ، وَمَكَّنَتْ لِسِيَادَتِهِمْ. وَإِذَا اسْتَعْرَضْنَا مَا أَنْجَزُوهُ:

فَإِنَّ قُصَيًّا هُوَ الَّذِي جَمَعَ قُرَيْشًا وَمَكَّنَ لَهَا فِي مَكَّةَ وَنَظَّمَ شُؤُونَهَا، وَأَمْسَكَ أَبْنَاؤُهُ بِزِمَامِ وَظَائِفِهِ مِنْ بَعْدِهِ؛ مِنَ السِّقَايَةِ، وَالرِّفَادَةِ، وَالْحِجَابَةِ، وَاللِّوَاءِ، وَالنَّدْوَةِ.

www.menhag-un.com

وَتَمَكَّنَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ مِنْ عَقْدِ الْإِيلَافِ، وَتَوْسِيعِ نِطَاقِ التِّجَارَةِ الْمَكِّيَّةِ بِإِخْرَاجِهَا مِنَ الْحُدُودِ الْمَحَلِّيَّةِ إِلَىٰ النِّطَاقِ الدَّوْلِيِّ، وَقَامَ بِحَفْرِ عِدَّةِ آبَارٍ لِخِدْمَةِ قُرَيْشٍ، وَلِخِدْمَةِ الْحَجِيجِ أَيْضًا.

وَعُرِفَ الْمُطَّلِبُ أَخُو هَاشِمٍ بِالنُّسُكِ، وَالْأَمْرِ بِتَرْكِ الظُّلْمِ وَالْبَغْيِ، وَالْحَثِّ عَلَىٰ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

وَعُرِفَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ بِالْفَيَّاضِ؛ لِجُودِهِ، وَبِشَيْبَةِ الْحَمْدِ؛ لِكَثْرَةِ حَمْدِ النَّاسِ لَهُ، وَقَدِ اشْتُهِرَ بِحَفْرِ مَاءِ زَمْزَمَ الَّتِي طَغَتْ عَلَىٰ مِيَاهِ آبَارِ مَكَّةَ الْأُخْرَىٰ لِغَزَارَتِهَا وَدَوَامِهَا، وَأَنَّهَا أَلْطَفُ مَذَاقًا مِنْ مِيَاهِ آبَارِ مَكَّةَ الْأُخْرَىٰ، وَكَانَ أَبْنَاءُ قُصَيٍّ قَبْلَ حَفْرِهَا يَأْتُونَ بِالْمِيَاهِ مِنْ آبَارٍ خَارِجَ مَكَّةَ.

لَمْ يَكُنْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أَغْنَىٰ رَجُلٍ فِي قُرَيْشٍ، وَلَا زَعِيمَ مَكَّةَ الْوَحِيدَ، لَكِنَّ صِلَتَهُ بِشُئُونِ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَخِدْمَةِ الْحَجِيجِ جَعَلَتْهُ مِنْ وُجَهَاءِ مَكَّةَ، وَهُوَ الَّذِي حَادَثَ أَبْرَهَةَ عِنْدَمَا غَزَا الْأَخِيرُ الْكَعْبَةَ.

وَقُبَيْلَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ تَوَلَّىٰ أَبُو طَالِبِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الرِّفَادَةَ وَالسِّقَايَةَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ يُنْفِقُهُ فِي هَذَا السَّبِيلِ، فَاسْتَدَانَ مِنْ أَخِيهِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ فَأَنْفَقَهَا، وَلَمَّا لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ رَدِّهَا، تَنَازَلَ عَنِ الرِّفَادَةِ وَالسِّقَايَةِ إِلَىٰ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

www.menhag-un.com

مَكَّةُ زَمَنَ الْبِعْثَةِ وَعِنْدَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ

وَهَكَذَا فَإِنَّ عَشِيرَةَ الرَّسُولِ ﷺ كَانَتْ تَتَبَوَّأُ مَكَانَةً اجْتِمَاعِيَّةً خَاصَّةً فِي مَكَّةَ عِنْدَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ رَغْمَ أَنَّهُمْ كَانُوا وُسَطَاءَ فِي الثَّرَاءِ، وَرُبَّمَا كَانُوا دُونَ أَوْسَاطِ تُجَّارِ مَكَّةَ، وَكَانَ الثَّرَاءُ قُبَيْلَ الْإِسْلَامِ فِي بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، وَبَنِي نَوْفَلٍ، وَبَنِي مَخْزُومٍ.

وَقَدْ نَازَعَتْهُمُ الْعَشَائِرُ الْقُرَشِيَّةُ الْأُخْرَىٰ السِّيَادَةَ عَلَىٰ مَكَّةَ، وَكَانَ النِّزَاعُ عَلَىٰ السِّيَادَةِ بَيْنَ تِلْكَ الْعَشَائِرِ الْقُرَشِيَّةِ قَدْ بَدَأَ بَيْنَ أَبْنَاءِ قُصَيٍّ، وَأَدَّىٰ إِلَىٰ انْقِسَامِ الْعَشَائِرِ إِلَىٰ مِحْوَرَيْنِ هُمَا:

الْمُطَيَّبُونَ: بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، وَمَنْ حَالَفَهُمْ؛ وَهُمْ: بَنُو أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّىٰ، وَبَنُو زُهْرَةَ، وَبَنُو تَيْمٍ، وَبَنُو الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ.

وَالْأَحْلَافُ: وَالْأَحْلَافُ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ، وَمَنْ حَالَفَهُمْ؛ وَهُمْ: سَهْمٌ، وَجُمَحُ، وَمَخْزُومٌ، وَعَدِيٌّ.

كَمَا حَدَثَتْ مُنَافَرَاتٌ وَمُنَازَعَاتٌ دَاخِلَ الْأُسْرَةِ الْوَاحِدَةِ أَحْيَانًا، كَمَا حَدَثَ بَيْنَ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ وَعَمِّهِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَمِنْ بَعْدِهِمَا بَيْنَ ابْنَيْهِمَا حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ وَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ.

وَقَدْ سَاعَدَ الْأَمْنُ وَالسَّلَامُ الَّذِي سَادَ مَكَّةَ قُبَيْلَ الْإِسْلَامِ عَلَىٰ بَقَاءِ زُعَمَائِهَا، خِلَافًا لِزُعَمَاءِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ أَفْنَتْهُمُ الْحُرُوبُ الدَّاخِلِيَّةُ، وَهَذَا أَحَدُ أَسْبَابِ شِدَّةِ الْمُقَاوَمَةِ لِلدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ قِبَلِ قُرَيْشٍ.

أَصْلُ سُكَّانِ مَكَّةَ: جُرْهُمٌ، وَقِيلَ: كَانَ قَبْلَهُمُ الْعَمَالِيقُ الَّذِينَ كَانُوا يَسْكُنُونَ خَارِجَهَا -أَيْ: مِنْ حَوْلِهَا- لَمْ تُحَافِظْ قَبِيلَةُ جُرْهُمٍ عَلَىٰ حُرْمَةِ الْحَرَمِ بَعْدَ إِسْمَاعِيلَ، فَكَثُرَ فِي أَيَّامِهِمُ الْبَغْيُ وَالْفَسَادُ، وَاغْتُصِبَ كَثِيرٌ مِنْ مَالِ الْكَعْبَةِ الَّذِي كَانَ يُهْدَىٰ إِلَيْهَا، وَيُقَالُ: إِنَّ مَاءَ زَمْزَمَ نَضِبَ فِي عَهْدِهِمْ، كَمَا أَنَّ الْبِئْرَ نَفْسَهَا زَالَتْ مَعَالِمُهَا.

وَعِنْدَمَا تَفَرَّقَ بَعْضُ عَرَبِ الْيَمَنِ بَعْدَ سَيْلِ الْعَرِمِ، هَاجَرَ ثَعْلَبَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ مَعَ قَوْمِهِ إِلَىٰ مَكَّةَ، وَلَمْ تَقْبَلْهُمْ جُرْهُمٌ، وَدَارَتْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ انْتَهَتْ بِهَزِيمَةِ جُرْهُمٍ.

وَعِنْدَمَا مَرِضَ ثَعْلَبَةُ، رَحَلَ إِلَىٰ الشَّامِ وَوَلَّىٰ أَمْرَ مَكَّةَ وَحِجَابَةَ الْكَعْبَةِ ابْنَ أَخِيهِ رَبِيعَةَ بْنَ حَارِثَةَ بْنِ عَمْرٍو، وَهُوَ لُحَيٌّ، وَعُرِفَ قَوْمُهُ بِخُزَاعَةَ، وَقَدِ انْحَازَ إِلَيْهِمْ بَنُو إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانُوا قَدِ اعْتَزَلُوا الْحَرْبَ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَ جُرْهُمٍ وَثَعْلَبَةَ.

ظَلَّتْ خُزَاعَةُ تَلِي أَمْرَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِمِئَةِ سَنَةٍ، وَقِيلَ: بَلْ ظَلَّتْ تَلِي أَمْرَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ خَمْسَمِئَةِ سَنَةٍ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ إِذْ ذَاكَ مُتَفَرِّقَةً فِي بَنِي كِنَانَةَ

حَتَّىٰ تَزَعَّمَهَا قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ وَوَحَّدَ بُطُونَهَا، وَخَاضَ حَرْبًا ضِدَّ خُزَاعَةَ حَوْلَ وَلَايَةِ الْبَيْتِ، وَأَعَانَتْهُ قُضَاعَةُ فِي حَرْبِهِ، وَتَدَخَّلَتْ قَبَائِلُ الْعَرَبِ، وَانْتَهَتِ الْحَرْبُ بِالتَّحْكِيمِ الَّذِي نَتَجَ عَنْهُ أَحَقِّيَّةُ قُصَيٍّ بِوَلَايَةِ الْكَعْبَةِ، وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ ارْتَفَعَتْ مَكَانَةُ قُرَيْشٍ بَيْنَ الْعَرَبِ.

قَامَ قُصَيٌّ بِتَقْطِيعِ مَكَّةَ رِبَاعًا بَيْنَ قَوْمِهِ، فَأَنْزَلَ كُلَّ قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَنَازِلَهُمْ مِنْ مَكَّةَ، وَكَانَتْ لَهُ جَمِيعُ الرِّئَاسَاتِ مِنْ حِجَابَةٍ، وَسِقَايَةٍ، وَسَدَانَةٍ، وَلِوَاءٍ، وَبَنَىٰ دَارًا لِإِزَاحَةِ الظُّلُمَاتِ وَفَصْلِ الْخُصُومَاتِ سَمَّاهَا: دَارَ النَّدْوَةِ، وَكَانَ يَرْأَسُ اجْتِمَاعَاتِهَا، وَيُدِيرُ شُئُونَهَا، وَفَرَضَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ خَرْجًا سَنَوِيًّا يُؤَدُّونَهُ إِلَيْهِ؛ لِيُنْفِقَ مِنْهُ عَلَىٰ إِطْعَامِ فُقَرَاءِ الْحُجَّاجِ، وَعِنْدَمَا كَبُرَ قُصَيٌّ فَوَّضَ أَمْرَ هَذِهِ الْوَظَائِفِ وَالرِّئَاسَاتِ إِلَىٰ أَكْبَرِ أَبْنَائِهِ عَبْدِ الدَّارِ.

وَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ الدَّارِ وَإِخْوَتُهُ عَبْدُ مَنَافٍ وَعَبْدُ شَمْسٍ، اخْتَلَفَ أَبْنَاؤُهُمْ فِي هَذِهِ الرِّيَاسَاتِ، وَافْتَرَقُوا إِلَىٰ فِرْقَتَيْنِ: فَفِرْقَةٌ بَايَعَتْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَفِرْقَةٌ بَايَعَتْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ.

وَوَضَعَ حِلْفُ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَيْدِيَهُمْ عِنْدَ الْحَلِفِ فِي جَفْنَةٍ فِيهَا طِيبٌ، ثُمَّ لَمَّا قَامُوا مَسَحُوا أَيْدِيَهُمْ بِأَرْكَانِ الْكَعْبَةِ، فَسُمُّوا حِلْفَ الْمُطَّيِّبِينَ.

أَمَّا بَنُو عَبْدِ الدَّارِ، وَمَنْ حَالَفَهُمْ فَقَدْ أَخْرَجُوا جَفْنَةً مَمْلُوءَةً دَمًا، وَفَعَلُوا مَا فَعَلَهُ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَسُمُّوا الْأَحْلَافَ.

ثُمَّ أَخِيرًا اصْطَلَحَ الْفَرِيقَانِ عَلَىٰ أَنْ تَكُونَ الرِّفَادَةُ وَالسِّقَايَةُ لِبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَأَنْ تَسْتَقِرَّ الْحِجَابَةُ وَاللِّوَاءُ وَالنَّدْوَةُ فِي بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَقُسِّمَتِ الرِّئَاسَاتُ الَّتِي نَالَهَا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ بَيْنَ هَاشِمٍ وَأَخِيهِ عَبْدِ شَمْسٍ؛ فَكَانَتِ السِّقَايَةُ وَالرِّفَادَةُ لِهَاشِمٍ، وَالْقِيَادَةُ لِعَبْدِ شَمْسٍ.

عِنْدَمَا عَلَتْ مَكَانَةُ هَاشِمٍ بَيْنَ قَوْمِهِ، حَسَدَهُ ابْنُ أَخِيهِ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ، وَحَاوَلَ أَنْ يُنَافِسَهُ فِي إِطْعَامِ الْحُجَّاجِ فَعَجَزَ، فَشَمَتَ بِهِ بَعْضُ قَوْمِهِ فَزَادَ حَسَدُهُ وَحِقْدُهُ عَلَىٰ عَمِّهِ.

وَوَلِيَ السِّقَايَةَ وَالرِّفَادَةَ الْمُطَّلِبُ بَعْدَ وَفَاةِ أَخِيهِ هَاشِمٍ، ثُمَّ عِنْدَمَا مَاتَ الْمُطَّلِبُ خَلَفَهُ ابْنُ أَخِيهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ، ثُمَّ عِنْدَمَا مَاتَ خَلَفَهُ ابْنُهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَقَدْ أَبْقَاهُمَا الرَّسُولُ ﷺ فِي يَدِهِ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ.

أَمَّا بَنُو عَبْدِ الدَّارِ فَقَدْ تَوَارَثُوا الْحِجَابَةَ وَاللِّوَاءَ وَرِئَاسَةَ دَارِ النَّدْوَةِ، وَقَدْ أَبْقَىٰ الرَّسُولُ ﷺ الْحِجَابَةَ بِأَيْدِيهِمْ عِنْدَمَا فَتَحَ مَكَّةَ، وَدَفَعَ بِمِفْتَاحِ الْكَعْبَةِ إِلَىٰ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ، وَهِيَ فِيهِمْ إِلَىٰ الْيَوْمِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْآيَةَ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨] قَدْ نَزَلَتْ بِهَذَا الْخُصُوصِ، وَلَكِنَّ هَذَا لَمْ يَثْبُتْ، بَلْ إِنَّ الْأَثَرَ ضَعِيفٌ، وَلَمْ يَسْتَبْعِدِ الطَّبَرِيُّ ذَلِكَ مَعَ ضَعْفِهِ، وَسَاقَ أَقْوَالًا أُخْرَىٰ فِي ذَلِكَ.

www.menhag-un.com

مَكَّةُ الْمُشَرَّفَةُ وَحُرْمَتُهَا

فَمَكَّةُ لَهَا حُرْمَتُهَا وَلَهَا مَكَانَتُهَا، أَمَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- أَنْ تَكُونَ بَلَدًا آمِنًا وَحَرَمًا مُعَظَّمًا، فَشَرَعَ حُرْمَتَهَا يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «**فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلَا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا وَلَا يُخْتَلَىٰ خَلَاهُ**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وَقَالَ مُمْتَنًّا عَلَىٰ قُرَيْشٍ أَهْلِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾ [قريش: ٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٦- ٩٧].

فَمَكَّةُ الْمُشَرَّفَةُ جَعَلَهَا اللهُ وَاحَةَ أَمْنٍ وَسَلَامٍ، وَشَرَعَ ذَلِكَ وَأَوْجَبَهُ؛ يَأْمَنُ النَّاسُ كُلُّهُمْ بَلْ حَتَّىٰ الطَّيْرُ وَالنَّبَاتُ، وَمَنْ دَخَلَ مَكَّةَ وَجَبَ أَنْ يُؤَمَّنَ وَلَا يُؤْذَىٰ؛ فَهُوَ بِجِوَارِ بَيْتِ اللهِ الَّذِي وَضَعَهُ لِلطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ وَبَارَكَ فِيهِ، وَجَعَلَهُ سَبَبًا لِلْهِدَايَةِ، وَأَقَامَ فِيهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ؛ مِنْهَا مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي رَفَعَ قَوَاعِدَ الْبَيْتِ بِأَمْرِ اللهِ، وَطَهَّرَهُ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

فَهُوَ مَثَابَةٌ لِلنَّاسِ يَثُوبُونَ إِلَيْهِ؛ أَيْ: يَرْجِعُونَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ؛ لِمَا يَجِدُونَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ، وَتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَمُضَاعَفَةِ الْحَسَنَاتِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ وَالطُّمَأْنِينَةِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانٌ لِأَهَمِّ وَسَائِلِ الْأَمْنِ، وَهُوَ تَوْحِيدُ اللهِ، وَالْبُعْدُ عَنِ الشِّرْكِ وَوَسَائِلِهِ وَأَسْبَابِهِ، وَقَدْ حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «**إِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ».

وَرَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا هَذِهِ الْحُرْمَةَ** -يَعْنِي: حُرْمَةَ الْكَعْبَةِ- **حَقَّ تَعْظِيمِهَا، فَإِذَا تَرَكُوهَا، وَضَيَّعُوهَا هَلَكُوا**».

أَلَا فَلْيَتَّقِ اللهَ سُكَّانُ حَرَمِ اللهِ وَالْوَافِدُونَ إِلَيْهِ، وَلْيُعَظِّمُوا هَذَا الْحَرَمَ بِإِقَامَةِ شَعَائِرِ اللهِ؛ ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وَلْيَحْذَرُوا مِمَّا حَذَّرَ اللهُ مِنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الحج: ٢٥].

فَهَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِمَنْ يَهُمُّ بِسَيِّئَةٍ فِي الْحَرَمِ، فَكَيْفَ بِمَنْ فَعَلَهَا، أَوْ تَرَكَ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ؟!

قَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الحج: ٢٥]: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا هَمَّ فِيهِ بِإِلْحَادٍ، وَهُوَ بِعَدَنِ أَبْيَنَ، لَأَذَاقَهُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ كَثِيرٍ.

وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ تَعْظِيمِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ وَمُرَاعَاةِ حُرْمَتِهِ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ يَلْقَىٰ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ فَلَا يَعْرِضُ لَهُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَإِذَا أَصَابَتْهُمْ غَارَةٌ أَوِ اعْتِدَاءٌ لَجَئُوا إِلَىٰ الْحَرَمِ؛ لِلِاحْتِمَاءِ بِهِ.

وَهَذِهِ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ تُوصِي ابْنَهَا بِتَعْظِيمِ الْحَرَمِ، وَتُحَذِّرُهُ مِنَ الظُّلْمِ فِيهِ فَتَقُولُ:

أَبُنَـــيَّ لَا تَظْلِـــمْ بِمَكَّـــ ـــةَ لَا الصَّـــغِيرَ وَلَا الْكَبِيـــرْ
أَبُنَـــيَّ مَـــنْ يَظْلِـــمْ بِمَكَّـــ ـــةَ يَلْـــقَ آفَـــاتِ الشُّـــرُورْ
أَبُنَـــيَّ قَـــدْ جَرَّبْتُهَـــا فَوَجَـــدْتُ ظَالِمَهَـــا يَبُـــورْ

لَقَدْ أَحَاطَ اللهُ مَكَّةَ بِثَلَاثِ دَوَائِرَ؛ تَعْظِيمًا لَهَا، وَحِمَايَةً لِحُرْمَتِهَا، وَسَمَّاهَا: أُمَّ الْقُرَىٰ؛ لِأَنَّ الْقُرَىٰ كُلَّهَا تَرْجِعُ إِلَيْهَا، فَفِيهَا الْكَعْبَةُ الْمُشَرَّفَةُ قِبْلَةُ الْمُسْلِمِينَ:

أَمَّا الدَّائِرَةُ الْأُولَىٰ، فَدَائِرَةُ الْحَرَمِ بِحُدُودِهِ الْمَعْلُومَةِ؛ حَيْثُ بَيَّنَهَا اللهُ لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام، وَوَضَعَ لَهَا أَعْلَامًا تَوَارَثَهَا النَّاسُ حَتَّىٰ بِعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَرَ ﷺ بِتَجْرِيدِ أَعْلَامِ الْحَرَمِ، ثُمَّ قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فِي خِلَافَتِهِ بِتَجْدِيدِهَا، وَمَا زَالَ أُمَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ، وَحُكَّامُ الْبَلَدِ الْأَمِينِ يَعْتَنُونَ بِهَذِهِ الْأَعْلَامِ وَيُجَدِّدُونَهَا؛ لِارْتِبَاطِهَا بِأَحْكَامٍ شَرْعِيَّةٍ وَضَّحَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ؛ لِأَنَّهُ يُخْتَلَىٰ خَلَاهَا، وَلَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلَا تَحِلُّ لُقَطَتُهَا، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِهَا بِمِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ، بَلْ كُلُّ حَرَمِهَا تُفَضَّلُ فِيهِ أَعْمَالُ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ، كَمَا ذَهَبَ لِذَلِكَ جَمْعٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فَهَذِهِ هِيَ الدَّائِرَةُ الْأُولَىٰ.

وَأَمَّا الدَّائِرَةُ الثَّانِيَةُ، فَدَائِرَةُ الْمَوَاقِيتِ، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَعْلَامِ الْحَرَمِ، وَقَدْ أَوْجَبَتِ الشَّرِيعَةُ أَنْ لَا يَتَجَاوَزَهَا مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ أَوِ الْعُمْرَةَ إِلَّا وَهُوَ مُحْرِمٌ، وَأَقْرَبُ

الْمَوَاقِيتِ مِنْ مَكَّةَ وَادِي مُحَرَّمٍ فِي طَرِيقِ الْهَدْيِ عَلَىٰ مَسَافَةِ سِتَّةٍ وَسِتِّينَ كِيلُومِتْرًا، وَأَبْعَدُهَا مِيقَاتُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ذُو الْحُلَيْفَةِ عَلَىٰ مَبْعَدَةِ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ مِنَ الْكِيلُومِتْرَاتِ مِنْ مَكَّةَ -زَادَهَا اللهُ شَرَفًا-.

وَأَمَّا الدَّائِرَةُ الثَّالِثَةُ، فَالْجَزِيرَةُ الْعَرَبِيَّةُ فَقَدْ خَصَّتْهَا الشَّرِيعَةُ بِخَصَائِصَ وَأَحْكَامٍ؛ لِتَكُونَ حِصْنًا وَاقِيًا، وَحِمًىٰ مِنْ بَعِيدٍ لِلْحَرَمِ الْآمِنِ، وَالْبَلَدِ الْمُقَدَّسِ (**أُمِّ الْقُرَىٰ**).

فَهَذِهِ مَكَّةُ فِي زَمَنِ الْبِعْثَةِ، وَعِنْدَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ، وَمَكَّةُ مَدِينَةٌ لَا قَرْيَةٌ، يَتَخَيَّلُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مِمَّا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِأَحْوَالِ الْعَصْرِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ الْبِعْثَةُ، وَلَيْسَ لَهُمُ اطِّلَاعٌ وَاسِعٌ عَلَىٰ أَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهِمْ وَشِعْرِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ، يَتَخَيَّلُونَ أَنَّ مَكَّةَ كَانَتْ قَرْيَةً صَغِيرَةً، وَكَانَتِ الْحَيَاةُ فِيهَا فِي طَوْرِ الطُّفُولَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ، وَأَنَّهَا كَانَتْ أَشْبَهَ بِمَسْكَنٍ لِلْقَبَائِلِ فِيهَا مَضَارِبُ مِنَ الشَّعَرِ تَسُودُ فِيهَا حَيَاةُ الْخِيَامِ، وَبَيْنَ مَعَاطِنِ الْإِبِلِ، وَمَرَابِضِ الْغَنَمِ، وَمَرابِطِ الْخَيْلِ، مُتَنَاثِرَةً فِي حَوَاشِي الْوَادِي، وَشُعَبِ الْجِبَالِ يَتَبَلَّغُ أَهْلُهَا بِبُلْغَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَيَتَعَيَّشُونَ عَلَىٰ الْخُبْزِ الْقِفَارِ، أَوْ لَحْمِ الْإِبِلِ الَّذِي لَمْ يَحْسُنْ شِوَاؤُهُ، وَلَمْ يَكْمُلِ اسْتِوَاؤُهُ، وَيَلْبَسُونَ اللِّبَاسَ الْخَشِنَ الَّذِي يَتَّخِذُونَهُ مِنْ أَصْوَافِ الْغَنَمِ وَأَوْبَارِهَا، لَا شَأْنَ لَهُمْ بِتَوَسُّعٍ فِي الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ، أَوْ تَأَنُّقٍ فِي اللِّبَاسِ وَالشَّارَاتِ، أَوْ لِينٍ فِي الْعَيْشِ، وَرِقَّةٍ فِي الشُّعُورِ، وَتَوَسُّعٍ فِي الْخَيَالِ.

إِنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ الْقَاتِمَةَ لِمَكَّةَ لَا تَتَّفِقُ مَعَ الْوَاقِعِ التَّارِيخِيِّ، وَلَا مَعَ مَا تَنَاثَرَ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ وَدَوَاوِينِ الْأَدَبِ وَالشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ مِنْ وَصْفِ مَكَّةَ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ

أَبْنَاؤُهَا فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ السَّادِسِ النَّصْرَانِيِّ مِنْ آدَابٍ وَأَعْرَافٍ وَعَادَاتٍ وَمَظَاهِرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ شُئُونِ الْحَيَاةِ.

وَقَدِ انْتَقَلَتْ مِنْ طَوْرٍ بُدَائِيٍّ بَدَوِيٍّ إِلَىٰ طَوْرٍ بُدَائِيٍّ مَدَنِيٍّ، وَلَا تَتَّفِقُ مَعَ مَا وَصَفَهَا الْقُرْآنُ بِنُعُوتٍ وَأَسْمَاءٍ لَا تَلِيقُ بِقَرْيَةٍ صَغِيرَةٍ وَحَيَاةٍ بَدَوِيَّةٍ؛ فَقَدْ سَمَّاهَا أُمَّ الْقُرَىٰ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورىٰ: ٧].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ١ - ٣].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١ - ٢].

فَهَذِهِ الصُّورَةُ الْقَاتِمَةُ لَا تَتَنَاسَبُ مَعَ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَكَّةَ أُمِّ الْقُرَىٰ، وَالْحَقُّ أَنَّ مَكَّةَ قَدِ انْتَقَلَتْ فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْمِيلَادِيِّ مِنْ طَوْرِ الْبَدَاوَةِ إِلَىٰ طَوْرِ الْحَضَارَةِ، وَإِنْ كَانَتْ حَضَارَةً بِالْمَعْنَىٰ الْمَحْدُودِ، وَخَضَعَتْ لِنِظَامٍ يَقُومُ عَلَىٰ اتِّفَاقٍ تَطَوُّعِيٍّ، وَتَفَاهُمٍ جَمَاعِيٍّ، وَتَوَسُّعٍ لِلْمَسْئُولِيَّاتِ وَالْمَهَامِّ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ يَدِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ الْجَدِّ الْخَامِسِ لِلرَّسُولِ ﷺ.

وَكَانَ عُمْرَانُ مَكَّةَ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ مَحْصُورًا فِي نِطَاقٍ ضَيِّقٍ كَانَتْ مَكَّةُ بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ؛ وَهُوَ جَبَلُ أَبِي قُبَيْسٍ الْمُشْرِفُ عَلَىٰ الصَّفَا، وَالْآخَرُ الْجَبَلُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: الْأَحْمَرُ، وَكَانَ يُسَمَّىٰ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْأَعْرَفِ، وَهُوَ الْجَبَلُ الْمُشْرِفُ وَجْهُهُ عَلَىٰ قُعَيْقِعَانَ.

إِلَّا أَنَّ وُجُودَ الْبَيْتِ فِي هَذَا الْوَادِي، وَمَا كَانَ يَتَمَتَّعُ بِهِ جِيرَانُهُ وَسَدَنَتُهُ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ وَسُكَّانُ الْوَادِي بِصِفَةٍ عَامَّةٍ، مَا يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مِنْ شَرَفٍ وَمَكَانَةٍ وَأَمْنٍ، كَانَ مُغْرِيًا لِكَثِيرٍ مِنَ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ -وَخُصُوصًا الْمُجَاوِرَةَ- لِلانْتِقَالِ إِلَىٰ جِوَارِ الْبَيْتِ، فَازْدَادَ الْعُمْرَانُ، وَتَوَسَّعَ النِّطَاقُ عَلَىٰ مَرِّ الزَّمَانِ، وَحَلَّتِ الْبُيُوتُ الْمَرْصُوفَةُ بِالْحَجَرِ أَوِ الْمَبْنِيَّةُ بِالطِّينِ وَالْحَجَرِ مَحَلَّ الْخِيَامِ وَالْأَخْبِيَةِ.

وَانْطَلَقَتِ الْحَرَكَةُ الْعُمْرَانِيَّةُ مِمَّا يَلِي الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِلَىٰ بَطْحَاءِ مَكَّةَ فِي أَعْلَاهَا وَأَسْفَلِهَا، وَكَانُوا يَبْنُونَهَا أَوَّلَ الْأَمْرِ بِحَيْثُ لَا تَسْتَوِي عَلَىٰ سُقُوفٍ مُرَبَّعَةٍ احْتِرَامًا لِلْبَيْتِ -أَيِ: الْكَعْبَةِ- ثُمَّ هَانَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ بِالتَّدْرِيجِ، فَلَمْ يَرَوْا بِذَلِكَ بَأْسًا وَتَوَسَّعُوا فِيهِ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْفَعُونَ بُيُوتَهُمْ عَنْ مُسْتَوَىٰ الْكَعْبَةِ.

وَزَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْأَخْبَارِ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ كَانُوا يَبْنُونَ بُيُوتَهُمْ مُدَوَّرَةً تَعْظِيمًا لِلْكَعْبَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ بَنَىٰ بَيْتًا مُرَبَّعًا حُمَيْدُ بْنُ زُهَيْرٍ، فَاسْتَنْكَرَتْهُ قُرَيْشٌ، وَكَانَتْ بُيُوتُ أَثْرِيَائِهَا وَسَادَتِهَا مُقَامَةً بِالْحَجَرِ، وَبِهَا عَدَدٌ مِنَ الْغُرَفِ، وَلَهَا بَابَانِ مُتَقَابِلَانِ يَتَمَكَّنُ النِّسَاءُ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الْبَابِ الْآخَرِ عِنْدَ وُجُودِ ضُيُوفٍ فِي الدَّارِ.

وَمِنْ أَعْلَىٰ جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ الَّذِي يُشْرِفُ عَلَىٰ مَكَّةَ مِنَ الشَّرْقِ يَبْدُو شَكْلُهَا الْمُسْتَطِيلُ مِنَ الشَّمَالِ إِلَىٰ الْجَنُوبِ فِي بَطْنِ وَادٍ ضَيِّقٍ، وَعِنْدَمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا الْمَرْءُ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يُمَيِّزُهَا مِنَ الْأَدِيمِ الَّذِي تَقُومُ عَلَيْهِ.

إِنَّ الْجِبَالَ الْجَرْدَاءَ الصَّخْرِيَّةَ الَّتِي تُحِيطُ بِهَا لَا تَفْصِلُهَا عَنْهَا أَيَّةُ وَاحَةٍ، فَلَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ أَيَّةُ بُقْعَةٍ خَضْرَاءَ، وَإِنَّ سُطُوحَ مَنَازِلِهَا لَتَخْتَلِطُ بِمُنْهَارِ الصُّخُورِ الَّتِي تَحَدَّرَتْ عَلَىٰ سُفُوحِ تِلْكَ الْجِبَالِ.

أَمَّا بَعْدَ أَنْ تُرَاضَ الْعَيْنُ شَيْئًا فَشَيْئًا، فَإِنَّهَا تُمَيِّزُ الْبُيُوتَ وَالدُّورَ، وَتَكْشِفُ الْمَدَاخِلَ الْخَفِيَّةَ، وَيَتَنَبَّهُ الْإِنْسَانُ بَغْتَةً لِمَنْظَرٍ مُفَاجِئٍ لِمَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ لَمْ يَكُنْ يَظُنُّ وُجُودَهَا فِي هَذَا الْمَكَانِ.

إِنَّ الْعَيْنَ تَرَاهَا تَكْبُرُ دُونَ حَدٍّ حَتَّىٰ لَيَكَادُ الْإِنْسَانُ يَعْزُو اتِّسَاعَهَا الْمُفَاجِئَ إِلَىٰ سِحْرِ سَاحِرٍ، وَتَبْدُو الصُّخُورُ بِدُورِهَا وَكَأَنَّهَا تَحَوَّلَتْ إِلَىٰ مَنَازِلَ، وَتَبْدُو الْآكَامُ أَشْبَهَ بِضَوَاحٍ وَاسِعَةٍ لَا يُدْرِكُ الطَّرْفُ لَهَا نِهَايَةً.

لَقَدْ هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام مِنَ الْعِرَاقِ إِلَىٰ الشَّامِ، ثُمَّ مِنَ الشَّامِ إِلَىٰ مِصْرَ، وَكَانَ يَحْمِلُ مَعَهُ فِي تَرْحَالِهِ هَذَا رِسَالَةَ التَّوْحِيدِ، وَكَانَتْ تُرَافِقُهُ زَوْجَتُهُ سَارَةُ، وَكَانَتِ امْرَأَةً جَمِيلَةً، وَكَانَ مِنْ عَادَةِ مَلِكِ مِصْرَ أَنْ يَسْتَأْثِرَ لِنَفْسِهِ بِكُلِّ امْرَأَةٍ جَمِيلَةٍ، وَشَاءَ اللهُ أَنْ يَصْرِفَهُ عَنْ سَارَةَ، وَتَنْقَلِبَ مِنْهُ بِجَارِيَةٍ لِتَخْدُمَهَا، وَهِيَ هَاجَرُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ عليه السلام.

وَلَمَّا كَانَتْ سَارَةُ عَقِيمًا، وَطَعَنَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام فِي السِّنِّ، وَابْيَضَّ شَعْرُهُ رَأَتْ أَنْ تَهَبَ لَهُ الْجَارِيَةَ هَاجَرَ لِيَتَزَوَّجَهَا؛ لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقُهُ مِنْهَا ذُرِّيَّةً صَالِحَةً، وَشَاءَ اللهُ أَنْ تَلِدَ لَهُ هَاجَرُ ابْنَهَا الْأَوَّلَ، فَسَمَّاهُ إِسْمَاعِيلَ، فَاشْتَدَّتِ الْغَيْرَةُ بِسَارَةَ عِنْدَمَا

وَلَدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ، فَحَلَفَتْ لَتُقَطِّعَنَّ مِنْهَا ثَلَاثَةَ أَعْضَاءٍ، فَاتَّخَذَتْ هَاجَرُ مَنْطِقًا لَهُ ذَيْلٌ، فَشَدَّتْ بِهِ وَسَطَهَا، وَهَرَبَتْ مَعَ زَوْجِهَا وَهِيَ تَجُرُّ ذَيْلَهَا لِتُخْفِيَ أَثَرَهَا عَنْ سَارَةَ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّىٰ وَضَعَهُمَا عِنْدَ مَكَانِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَىٰ الْمَسْجِدِ -أَيْ: فِي أَعْلَىٰ مَكَانِهِ؛ لَمْ يَكُنْ قَدْ بُنِيَ بَعْدُ-، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، وَوَضَعَ عِنْدَهَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَلَ رَاجِعًا.

فَتَبِعَتْهُ هَاجَرُ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ أَنِيسٌ وَلَا شَيْءٌ؟!

قَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَتْ: إِذَنْ؛ لَا يُضَيِّعُنَا. ثُمَّ رَجَعَتْ.

فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يُرَىٰ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ مَكَانَ الْبَيْتِ، ثُمَّ دَعَا قَائِلًا: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ ...﴾، حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿... يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

لَمْ يَلْبَثْ أَنْ نَفِدَ مَا عِنْدَ هَاجَرَ مِنَ الْمَاءِ، فَعَطِشَتْ هِيَ وَابْنُهَا، فَكَرِهَتْ أَنْ تَنْظُرَ لِابْنِهَا وَهُوَ يَتَلَوَّىٰ مِنَ الْعَطَشِ، فَانْطَلَقَتْ حَتَّىٰ قَامَتْ عَلَىٰ أَقْرَبِ جَبَلٍ مِنْهَا وَهُوَ الصَّفَا، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِيَ لِتَنْظُرَ هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا، فَلَمَّا لَمْ تَرَ أَحَدًا هَبَطَتْ

مِنَ الصَّفَا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرْفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ، حَتَّىٰ جَاوَزَتِ الْوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ، فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا.

فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، «**وَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا**» كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ -أَيْ: بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ-.

وَفِي نِهَايَةِ الْمَرَّةِ السَّابِعَةِ جَاءَهَا الْمَلَكُ جِبْرِيلُ، وَأَخَذَ يَبْحَثُ بِعَقِبِهِ أَوْ بِجَنَاحِهِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، حَتَّىٰ ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تَحُوضُهُ، ثُمَّ تَغْرِفُ مِنْهُ فِي سِقَائِهَا، وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَمَا تَغْرِفُ مِنْهُ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ؛ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ** -أَوْ قَالَ: **لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنْ زَمْزَمَ- لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا**»، فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ؛ فَإِنَّ هَذَا بَيْتُ اللهِ، يَبْنِيهِ هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ.

وَبَيْنَمَا هِيَ عَلَىٰ هَذِهِ الْحَالِ، مَرَّ بِهِمْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ قَبِيلَةِ جُرْهُمٍ الْيَمَانِيَّةِ الْقَحْطَانِيَّةِ، وَعِنْدَمَا وَجَدُوا الْمَاءَ، اسْتَأْذَنُوهَا فِي النُّزُولِ عِنْدَهَا، فَأَذِنَتْ لَهُمْ بِشَرْطٍ: أَنْ لَا يَكُونَ لَهُمْ حَقٌّ فِي الْمَاءِ، فَوَافَقُوا وَأَرْسَلُوا إِلَىٰ بَقِيَّةِ أَهْلِيهِمْ، فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، وَشَبَّ الْغُلَامُ بَيْنَهُمْ، فَتَعَلَّمَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا كَبِرَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ.

فِي هَذَا الْجُزْءِ بَيَانٌ لِبَعْضِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ فِي أَخْلَاقِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ الْجُرْهُمِيُّونَ، وَجَدُوا امْرَأَةً ضَعِيفَةً مَعَ رَضِيعٍ لَهَا، وَجَدُوا عَيْنَ الْمَاءِ، وَهِيَ

تَشْتَرِطُ، وَهُمْ يَسْتَأْذِنُونَ، وَقَدْ يَذْهَبُ خَيَالُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَىٰ أَنَّ الِاسْتِحْوَاذَ عَلَىٰ تِلْكَ الْعَيْنِ كَانَ مِنْ أَيْسَرِ الْأُمُورِ وَأَسْهَلِهَا، فَمَاذَا تَمْلِكُ هِيَ مِنْ قُوَّةٍ حَتَّىٰ تَدْفَعَ الِاعْتِدَاءَ عَنْ نَفْسِهَا أَوْ عَنِ ابْنِهَا أَوْ عَنْ زَمْزَمَ؟!

وَإِنَّمَا كَانَتْ مَحْضَ امْرَأَةٍ فِي هَذِهِ الْمَنْطِقَةِ الْمُوغِلَةِ فِي تَجَرُّدِهَا مِنْ كُلِّ مَظَاهِرِ الْحَيَاةِ، وَهَذِهِ قَبِيلَةٌ بِأَسْرِهَا، وَمَعَ ذَلِكَ اسْتَأْذَنُوهَا فِي النُّزُولِ عِنْدَهَا، فَأَذِنَتْ لَهُمْ بِشَرْطِ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُمْ حَقٌّ فِي الْمَاءِ فَوَافَقُوا.

وَأَرْسَلُوا إِلَىٰ بَقِيَّةِ أَهْلِيهِمْ، فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، وَشَبَّ الْغُلَامُ بَيْنَهُمْ، وَتَعَلَّمَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ فَلَمَّا كَبِرَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ.

وَعِنْدَمَا مَاتَتْ هَاجَرُ جَاءَ إِبْرَاهِيمُ، وَلَمْ يَجِدْ حِينَهَا وَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ بِالْبَيْتِ، فَأَخْبَرَتْهُ زَوْجُهُ أَنَّهُ خَرَجَ فِي حَاجَتِهِمْ، وَعِنْدَمَا سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ: شَكَتْ إِلَيْهِ مُرَّ الشَّكْوَىٰ مِمَّا يُلَاقِيَانِهِ مِنْ شِدَّةٍ، فَأَوْصَاهَا أَنْ تُقْرِئَهُ السَّلَامَ، وَتَقُولَ لَهُ بِأَنْ يُغَيِّرَ عَتَبَةَ بَابِهِ.

فَعِنْدَمَا عَادَ إِسْمَاعِيلُ أَخْبَرَتْهُ زَوْجَتُهُ بِالَّذِي حَدَثَ، فَعَرَفَ مِنْ وَصْفِهَا أَنَّهُ أَبُوهُ، وَفَهِمَ الْوَصِيَّةَ، وَفَهِمَ أَنَّ الْعَتَبَةَ تَعْنِي: زَوْجَتَهُ. فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً أُخْرَىٰ.

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَانِ عَادَ إِبْرَاهِيمُ مَرَّةً أُخْرَىٰ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ فِي الْمَنْزِلِ، وَسَأَلَ زَوْجَهُ عَنْ عَيْشِهِمْ، فَحَمِدَتِ اللهَ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ بِمَا وَسَّعَ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ، فَأَوْصَاهَا بِأَنْ تُقْرِئَهُ السَّلَامَ وَتَقُولَ لَهُ أَنْ يُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِهِ. فَعِنْدَمَا عَادَ إِسْمَاعِيلُ وَأُخْبِرَ بِمَا حَدَثَ، عَرَفَ أَبَاهُ وَفَهِمَ الْوَصِيَّةَ، فَأَمْسَكَ عَلَيْهِ زَوْجَهُ.

ثُمَّ غَابَ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ عَادَ فَوَجَدَ ابْنَهُ مِنْ وَرَاءِ زَمْزَمَ يُصْلِحُ نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ عَظِيمَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَ كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ مَعَ الْوَلَدِ، فَطَلَبَ إِبْرَاهِيمُ مِنِ ابْنِهِ أَنْ يُعِينَهُ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ -وَهُوَ بِنَاءُ الْكَعْبَةِ- عَلَىٰ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ قُرْبَ زَمْزَمَ، فَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، وَيَأْتِيهِ إِسْمَاعِيلُ بِالْحِجَارَةِ، حَتَّىٰ ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ، فَجَاءَهُ بِحَجَرِ الْمَقَامِ، فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَكَانَا يَقُولَانِ وَهُمَا يَبْنِيَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

لَيْسَتْ هَذِهِ الْمَرَّةَ الْأُولَىٰ الَّتِي يُعِينُ فِيهَا إِسْمَاعِيلُ أَبَاهُ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ وَتَنْفِيذِ أَمْرِهِ، فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَادَ إِلَىٰ مَكَّةَ عِنْدَمَا شَبَّ إِسْمَاعِيلُ، وَقَدْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَيْهِ مَنَامًا أَنْ يَذْبَحَهُ قُرْبَانًا لِلَّهِ تَعَالَىٰ، فَاسْتَشَارَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ فِي ذَلِكَ قَائِلًا: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ﴾ [الصافات: ١٠٢].

فَأَجَابَ إِسْمَاعِيلُ قَائِلًا: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

وَخَرَجَ بِهِ لِتَنْفِيذِ أَمْرِ رَبِّهِ، وَلَمَّا تَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَالسِّكِّينُ بِيَدِهِ نَادَاهُ رَبُّهُ: ﴿أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ﴾ [الصافات: ١٠٤- ١٠٥]، وَفَدَاهُ اللهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ، ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧]؛ أَيْ: بِكَبْشٍ أَمْلَحَ كَبِيرٍ، فَتَرَكَ الْوَلَدَ وَذَبَحَ الْكَبْشَ، وَفَازَ الْوَالِدُ وَالْوَلَدُ بِرِضَا اللهِ تَعَالَىٰ.

عِنْدَمَا فَرَغَ إِبْرَاهِيمُ، وَإِسْمَاعِيلُ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يُؤَذِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

فَقِيلَ: صَعِدَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام جَبَلَ أَبِي قُبَيْسٍ أَوِ الْحِجْرَ أَوِ الصَّفَا، وَنَادَىٰ بِاسْمِ اللهِ تَعَالَىٰ قَائِلًا: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ بَنَىٰ لَكُمْ بَيْتًا فَحُجُّوهُ.

فَأَسْمَعَ اللهُ نِدَاءَهُ كُلَّ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَنَّهُ يَحُجُّ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَبَّىٰ قَائِلًا: **لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ!**

وَدَعَا إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّهُمَا بِمَا ذَكَرَهُ عَنْهُمَا الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

قَالَ الطَّبَرِيُّ: وَهَذِهِ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ خَاصَّةً، وَهِيَ الدَّعْوَةُ الَّتِي كَانَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ يَقُولُ عَنْهَا: «**أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَىٰ عِيسَىٰ**».

عَاشَ إِسْمَاعِيلُ بِجِوَارِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ مَعَ أَصْهَارِهِ جُرْهُمٍ إِلَىٰ أَنْ بَعَثَهُ اللهُ رَسُولًا إِلَيْهِمْ وَإِلَىٰ مَنْ بِالْحِجَازِ كَافَّةً مِنْ قَبِيلَةِ الْعَمَالِيقِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤].

وَأَنْجَبَ إِسْمَاعِيلُ اثْنَيْ عَشَرَ وَلَدًا ذَكَرًا، وَقَدْ سَمَّاهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيرَةِ»، وَنَقَلَ ذَلِكَ عَنْهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «الْبِدَايَةِ»، وَأَوَّلُهُمْ: نَابِتُ وَقَيْدَارُ، وَنَابِتُ هُوَ الَّذِي اخْتِيرَ لِأَنْ يَكُونَ مِنْ آبَاءِ دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَاخْتَفَتْ حَلْقَاتُ

السِّلْسِلَةِ الذَّهَبِيَّةِ فِيمَا بَيْنَ نَابِتٍ وَعَدْنَانَ لِأَسْبَابٍ غَامِضَةٍ غَيْرِ مَعْرُوفَةٍ، وَقَدْ كَانَ عَدَدُ الْآبَاءِ بَيْنَ نَابِتٍ وَعَدْنَانَ يُقَدَّرُ بِسِتَّةِ آبَاءٍ، وَقَدْ عَاشُوا جَمِيعًا بِالْحَرَمِ الْمَكِّيِّ، وَمَعَ هَذَا لَمْ تُضْبَطْ أَسْمَاءُ هَؤُلَاءِ الْآبَاءِ السِّتَّةِ، وَقَدْ جَزَمَ الرَّسُولُ ﷺ بِنَسَبِهِ إِلَىٰ عَدْنَانَ، أَمَّا أَجْدَادُهُ الَّذِينَ بَيْنَ عَدْنَانَ وَإِسْمَاعِيلَ، فَمُخْتَلَفٌ فِيهِمْ.

عِنْدَمَا مَاتَ إِسْمَاعِيلُ دُفِنَ مَعَ أُمِّهِ فِي الْحِجْرِ، وَكَانَ عُمْرُهُ مِئَةً وَسَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَيَنْتَسِبُ كُلُّ عَرَبِ الْحِجَازِ إِلَىٰ وَلَدَيْهِ نَابِتٍ وَقَيْدَارٍ، وَقَدْ عَهِدَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ بِبِنَاءِ الْبَيْتِ وَسَاعَدَهُ فِي ذَلِكَ وَلَدُهُ إِسْمَاعِيلُ وَهَذَا الْعَهْدُ الَّذِي عَهِدَهُ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ كَانَ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ قَبْلَ الْمِيلَادِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

تَعَدُّدُ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ

وَبِنَاءُ الْكَعْبَةِ تَعَدَّدَ:

الْمَرَّةُ الْأُولَىٰ: عِمَارَةُ الْمَلَائِكَةِ. رَوَىٰ ذَلِكَ الْأَزْرَقِيُّ.

الْمَرَّةُ الثَّانِيَةُ: عِمَارَةُ آدَمَ عليه السلام. كَمَا رَوَىٰ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ»، وَغَيْرُهُ.

الْمَرَّةُ الثَّالِثَةُ: عِمَارَةُ أَوْلَادِ آدَمَ عليه السلام. كَمَا رَوَىٰ الْأَزْرَقِيُّ وَغَيْرُهُ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، وَذَكَرَ السُّهَيْلِيُّ أَنَّ الَّذِي بَنَاهَا شِيثُ بْنُ آدَمَ عليه السلام.

الْمَرَّةُ الرَّابِعَةُ لِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ: عِمَارَةُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عليهما السلام، وَهِيَ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا.

وَجَزَمَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «الْبِدَايَةِ» بِأَنَّ هَذَا كَانَ أَوَّلَ بِنَاءٍ، قَالَ: وَلَمْ يَجِئْ فِي خَبَرٍ صَحِيحٍ عَنْ مَعْصُومٍ أَنَّ الْبَيْتَ كَانَ مَبْنِيًّا قَبْلَ الْخَلِيلِ عليه السلام، وَمَنْ تَمَسَّكَ فِي هَذَا بِقَوْلِهِ: ﴿مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦]، فَلَيْسَ بِنَاهِضٍ وَلَا ظَاهِرٍ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ: مَكَانُهُ الْمُقَدَّرُ فِي عِلْمِ اللهِ، الْمُقَرَّرُ فِي قُدْرَتِهِ، الْمُعَظَّمُ عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ مَوْضِعُهُ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَىٰ زَمَانِ إِبْرَاهِيمَ، وَهَذَا الْكَلَامُ مِنَ ابْنِ كَثِيرٍ فِيهِ نَظَرٌ؛ لِمَا ذُكِرَ مِنَ الْآثَارِ السَّابِقَةِ وَاللَّاحِقَةِ.

الْمَرَّةُ الْخَامِسَةُ وَالسَّادِسَةُ: عِمَارَةُ الْعَمَالِيقِ، ثُمَّ جُرْهُمٍ.

وَقَدْ نَقَلَ الشَّامِيُّ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهُويَهْ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ السُّهَيْلِيُّ: وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ بُنِيَ فِي أَيَّامِ جُرْهُمٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ؛ لِأَنَّ السَّيْلَ كَانَ قَدْ صَدَعَ حَائِطَهُ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بُنْيَانًا عَلَىٰ نَحْوِ مَا مَرَّ، إِنَّمَا كَانَ إِصْلَاحًا لِمَا وَهَىٰ مِنْهُ، وَجِدَارًا بُنِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّيْلِ، بَنَاهُ عَامِرٌ الْجَارُودُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْخَبَرُ.

الْمَرَّةُ السَّابِعَةُ: عِمَارَةُ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ جَدِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

نَقَلَ ذَلِكَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي كِتَابِ «النَّسَبِ»، وَجَزَمَ بِهِ الْإِمَامُ أَبُو إِسْحَاقَ الْمَاوَرْدِيُّ فِي «الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ».

الْمَرَّةُ الثَّامِنَةُ: عِمَارَةُ قُرَيْشٍ، حِينَ كَانَ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ عَامًا.

الْمَرَّةُ التَّاسِعَةُ: عِمَارَةُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، كَمَا رَوَىٰ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا.

وَالْمَرَّةُ الْعَاشِرَةُ: عَمَارَةُ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ بِأَمْرِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ الْخَلِيفَةِ الْأُمَوِيِّ، كَمَا رَوَىٰ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ، وَعِنْدَمَا شَكَّكَ عَبْدُ الْمَلِكِ فِي سَمَاعِ ابْنِ الزُّبَيْرِ مِنْ خَالَتِهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَدِيثَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ** -أَوْ قَالَ: **بِكُفْرٍ- لَهَدَمْتُهَا، وَجَعَلْتُ لَهَا غَلَقًا، وَأَلْصَقْتُ بَابَهَا بِالْأَرْضِ، وَأَدْخَلْتُ فِيهَا الْحِجْرَ**».

أَكَّدَ لَهُ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَعْرُوفُ بِـ (الْقَبَّاعِ)، وَأَخُو عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ، أَكَّدَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَنَّهُ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَنَدِمَ عَلَىٰ نَقْضِهِ وَإِعَادَتِهِ. رَوَىٰ ذَلِكَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

وَرُوِيَ أَنَّ الرَّشِيدَ عَزَمَ عَلَىٰ نَقْضِهَا وَإِعَادَتِهَا كَمَا بَنَاهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ لَهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: أَنْشُدُكَ اللهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا تَجْعَلَ هَذَا الْبَيْتَ مَلْعَبَةً لِلْمُلُوكِ بَعْدَكَ، لَا يَشَاءُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُغَيِّرَهُ إِلَّا غَيَّرَهُ، فَتَذْهَبُ هَيْبَتُهُ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ. فَصَرَفَهُ عَنْ رَأْيِهِ فِيهِ.

الْمَرَّةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: بِنَاءُ السُّلْطَانِ مُرَاد خَان الْعُثْمَانِيِّ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَأَلْفٍ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلَّانَ فِي رِسَالَتِهِ الَّتِي بِهَذَا الشَّأْنِ، وَسَبَبُهُ أَنَّ السَّيْلَ أَسْقَطَ مِنْهَا بَعْضَ الْأَجْزَاءِ.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

تَحْقِيقُ الْقَوْلِ فِي زَمَانِ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ

لَقَدْ دَلَّتِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ الَّتِي نَزَلَتْ فِي شَأْنِ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ، وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي رَوَاهَا الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَلَىٰ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَنَىٰ الْكَعْبَةَ هُوَ إِبْرَاهِيمُ وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَقَدْ كَانَ مَكَانُ الْبَيْتِ رَبْوَةً عَالِيَةً مُشْرِفَةً عَلَىٰ مَا حَوْلَهَا، مَعْرُوفَةً لِلْمَلَائِكَةِ، وَلِمَنْ سَبَقَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَبُقْعَةً مُشَرَّفَةً مُعَظَّمَةً مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ، حَتَّىٰ جَاءَ الْخَلِيلُ فَأَسَّسَ قَوَاعِدَهُ وَبَنَاهُ.

أَمَّا الرِّوَايَاتُ الَّتِي تَقُولُ بِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ قَبْلَ هَذَا فَأَغْلَبُهَا مَوْقُوفَةٌ عَلَىٰ بَعْضِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَرَوَاهَا أَهْلُ التَّارِيخِ وَالسِّيَرِ كَالْأَزْرَقِيِّ وَالْفَاكِهِيِّ، وَبَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ لَا يَلْتَزِمُونَ إِخْرَاجَ الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ أَوِ الْحَسَنَةِ، وَقَدْ مَرَّ قَوْلُ ابْنِ كَثِيرٍ: «وَلَمْ يَجِئْ فِي خَبَرٍ صَحِيحٍ عَنْ مَعْصُومٍ أَنَّ الْبَيْتَ كَانَ مَبْنِيًّا قَبْلَ الْخَلِيلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو شُهْبَةَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- بَعْدَ تَرْجِيحِهِ لِكَلَامِ ابْنِ كَثِيرٍ: وَلَا يُنَافِي مَا رَجَّحْنَاهُ وَذَهَبْنَا إِلَيْهِ مَا رُوِيَ أَنَّهُ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ حَجَّ الْبَيْتَ».

وَمَا رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «حَجَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمَّا أَتَىٰ وَادِيَ عُسْفَانَ قَالَ: **يَا أَبَا بَكْرٍ، أَيُّ وَادٍ هَذَا؟**

قَالَ: هَذَا وَادِي عُسْفَانَ.

قَالَ: **لَقَدْ مَرَّ بِهَذَا نُوحٌ وَهُودٌ وَإِبْرَاهِيمُ عَلَىٰ بَكَرَاتٍ لَهُمْ حُمْرٍ، خُطُمُهُمُ اللِّيفُ، وَأُزُرُهُمُ الْعَبَاءُ، وَأَرْدِيَتُهُمُ النِّمَارُ، يَحُجُّونَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ»**.

كَذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِوَادِي عُسْفَانَ حِينَ حَجَّ، قَالَ: **يَا أَبَا بَكْرٍ، أَيُّ وَادٍ هَذَا؟**

قَالَ: وَادِي عُسْفَانَ.

قَالَ: **لَقَدْ مَرَّ بِهِ هُودٌ وَصَالِحٌ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَىٰ بَكَرَاتٍ لَهُمْ حُمْرٍ، خُطُمُهُمُ اللِّيفُ، وَأُزُرُهُمُ الْعَبَاءُ، وَأَرْدِيَتُهُمُ النِّمَارُ، يُلَبُّونَ يَحُجُّونَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ»**.

وَإِسْنَادُ هَذَا الْحَدِيثِ حَسَنٌ، وَقَدْ ذُكِرَ ذَلِكَ عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ فِي قِصَّةِ نُوحٍ وَغَيْرِهَا.

«وَفِيهِ نُوحٌ وَهُودٌ وَإِبْرَاهِيمُ».. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو شُهْبَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لِأَنَّ الْمَقْصُودَ الْحَجُّ إِلَىٰ مَحِلِّهِ وَبُقْعَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ بِنَاءٌ».

وَالْبَكَرَاتُ: جَمْعُ بَكَرَةٍ، وَهِيَ النَّاقَةُ الْفَتِيَّةُ الْقَوِيَّةُ.

وَالْخُطُمُ جَمْعُ خِطَامٍ، وَهُوَ الزِّمَامُ الَّذِي تُشَدُّ بِهِ النَّاقَةُ.

وَالْأُزُرُ جَمْعُ إِزَارٍ، وَهُوَ مَا يُسْتَرُ بِهِ أَسْفَلُ الْجِسْمِ مِنَ الْوَسَطِ.

وَالْأَرْدِيَةُ جَمْعُ رِدَاءٍ، وَهُوَ مَا يُوضَعُ عَلَىٰ الْكَتِفَيْنِ، وَيُسْتَرُ بِهِ النِّصْفُ الْأَعْلَىٰ.

وَالنِّمَارُ جَمْعُ نَمِرَةٍ، وَهُوَ الْكِسَاءُ الْمُخَطَّطُ.

«لَقَدْ مَرَّ بِهِ هُودٌ وَصَالِحٌ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَىٰ بَكَرَاتٍ لَهُمْ حُمْرٍ، خُطُمُهُمُ اللِّيفُ، وَأُزُرُهُمُ الْعَبَاءُ، وَأَرْدِيَتُهُمُ النِّمَارُ، يَحُجُّونَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ»، فَإِذَا كَانَ بِنَاءُ الْكَعْبَةِ لَمْ يَبْدَأْ إِلَّا بِبِنَاءِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، فَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ مُسْتَشْكِلًا: هَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ أَنَّ نُوحًا وَهُودًا وَإِبْرَاهِيمَ حَجُّوا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَكَذَلِكَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَىٰ: صَالِحٌ.

فَكَيْفَ يَتَّفِقُ هَذَا وَقَوْلَ الْقَائِلِ: إِنَّ الْبَيْتَ أَوَّلَ مَا بُنِيَ بَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ، وَلَمْ يُبْنَ قَبْلَ ذَلِكَ؟!

فَالْجَوَابُ: كَمَا مَرَّ، إِنَّمَا كَانَ مَكَانُ الْبَيْتِ مَعْرُوفًا لَهُمْ، وَكَانَ مُقَدَّرًا عِنْدَهُمْ، فَكَانُوا يَحُجُّونَ إِلَىٰ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ عَلَىٰ مَا أَعْلَمَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ، فَتَأْتَلِفُ النُّصُوصُ بِهَذَا، وَيَكُونُ الِاخْتِيَارُ لِمَا قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- أَنَّهُ لَمْ يَجِئْ فِي خَبَرٍ صَحِيحٍ عَنْ مَعْصُومٍ أَنَّ الْبَيْتَ كَانَ مَبْنِيًّا قَبْلَ الْخَلِيلِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

هُنَاكَ حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ، وَهُوَ أَنَّ سَفِينَةَ نُوحٍ طَافَتْ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، وَسَجَدَتْ أَوْ رَكَعَتْ، أَوْ صَلَّتْ رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْمَقَامِ، فَفِيهِ إِثْبَاتُ أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ طَافَ وَمَنْ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ حَوْلَ الْبَيْتِ، فَهَلْ كَانَ الْبَيْتُ مُسْتَثْنًىٰ مِمَّا وَقَعَ مِنْ غَمْرِ الْمَاءِ لِلْأَرْضِ، ثُمَّ كَيْفَ صَلَّتْ؟ وَكَيْفَ سَجَدَتْ؟ وَكَيْفَ رَكَعَتْ؟ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الِاعْتِرَاضَاتِ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَاتِ.

عِنْدَمَا قَرَّرَ ابْنُ الزُّبَيْرِ تَجْدِيدَ الْكَعْبَةِ بَاشَرَ الْمُسْلِمُونَ نَقْضَهَا حَتَّىٰ بَلَغُوا بِهَا الْأَرْضَ، فَأَقَامُوا أَعْمِدَةً مِنْ حَوْلِهَا، وَأَرْخَوْا عَلَيْهَا السُّتُورَ، ثُمَّ بَاشَرُوا فِي رَفْعِ بِنَائِهَا، وَزَادُوا عَلَيْهَا الْأَذْرُعَ السِّتَّةَ الَّتِي أَنْقَصَتْهَا مِنْهَا قُرَيْشٌ، وَزَادُوا فِي طُولِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ عَشْرَةَ أَذْرُعٍ، وَجَعَلُوا لَهَا بَابَيْنِ مِنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، أَحَدُهُمَا يُدْخَلُ مِنْهُ، وَالْآخَرُ يُخْرَجُ مِنْهُ؛ وَذَلِكَ اسْتِنَادًا إِلَىٰ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي رَوَاهُ الشَّيْخَانِ: «**يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهُدِمَ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ، وَأَلْصَقْتُهُ بِالْأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا، فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ**»، أَوْ فِي مَعْنَىٰ هَذَا.

ذَكَرَ الْأَزْرَقِيُّ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام جَعَلَ طُولَ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ فِي السَّمَاءِ تِسْعَةَ أَذْرُعٍ، وَطُولَهَا فِي الْأَرْضِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ ذِرَاعًا، وَعَرْضَهَا فِي الْأَرْضِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا، وَكَانَتْ بِغَيْرِ سَقْفٍ.

وَحَكَىٰ السُّهَيْلِيُّ أَنَّ طُولَهَا فِي السَّمَاءِ كَانَ تِسْعَةَ أَذْرُعٍ مِنْ عَهْدِ إِسْمَاعِيلَ، فَلَمَّا بَنَتْهَا قُرَيْشٌ قَبْلَ الْإِسْلَامِ زَادُوا فِيهَا تِسْعَةَ أَذْرُعٍ، فَكَانَتْ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا، وَرَفَعُوا بَابَهَا عَنِ الْأَرْضِ، فَكَانَ لَا يُصْعَدُ إِلَيْهِ إِلَّا فِي دَرَجٍ؛ أَيْ: سُلَّمٍ.

وَأَوَّلُ مَنْ عَمِلَ لَهَا غَلَقًا هُوَ تُبَّعٌ، ثُمَّ لَمَّا بَنَاهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ زَادَ فِيهَا تِسْعَةَ أَذْرُعٍ، فَكَانَتْ سَبْعًا وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا، وَعَلَىٰ ذَلِكَ هِيَ الْآنَ.

لَمْ يَكُنْ لِلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ سُورٌ، وَكَانَتْ تُحِيطُ بِهِ الدُّورُ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ، وَعِنْدَمَا رَأَىٰ ابْنُ الْخَطَّابِ أَنَّ الْمَسْجِدَ قَدْ ضَاقَ بِالْحُجَّاجِ وَالزُّوَّارِ، اشْتَرَىٰ الدُّورَ الَّتِي حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِهَا فَوَسَّعَهُ، وَجَعَلَ لَهُ سُورًا عَلَىٰ قَامَةِ الرَّجُلِ وَأَنَارَهُ.

وَعِنْدَمَا رَأَىٰ عُثْمَانُ رضي الله عنه أَنَّ الْمَسْجِدَ أَيْضًا قَدْ ضَاقَ بِالْحُجَّاجِ وَالْمُعْتَمِرِينَ، اشْتَرَىٰ دُورًا أُخْرَىٰ، فَوَسَّعَ بِهَا الْحَرَمَ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، وَلَمْ يَزَلِ الْخُلَفَاءُ وَالْأُمَرَاءُ مِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ يَتَعَهَّدُونَ الْحَرَمَ بِالتَّوْسِعَةِ إِلَىٰ زَمَانِنَا هَذَا.

وَأَمَّا مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، فَالْمَقَامُ هُوَ الْحَجَرُ الَّذِي كَانَ يَقِفُ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام لَمَّا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ عَنْ قَامَتِهِ، وَقَدْ تَرَكَتْ قَدَمَاهُ أَثَرًا فِي الْحَجَرِ، وَظَلَّ هَذَا الْأَثَرُ إِلَىٰ أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، غَيْرَ أَنَّهُ أَذْهَبَهُ مَسْحُ النَّاسِ بِأَيْدِيهِمْ، وَفِي هَذَا يَقُولُ أَبُو طَالِبٍ:

وَمَوْطِنُ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةٌ

عَلَىٰ قَدَمَيْهِ حَافِيًا غَيْرَ نَاعِلِ

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْمَقَامَ كَانَ مُلْصَقًا بِحَائِطِ الْكَعْبَةِ عَلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ، إِلَىٰ أَيَّامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَأَخَّرَهُ عَنِ الْبَيْتِ قَلِيلًا؛ تَوْسِعَةً عَلَىٰ الطَّائِفِينَ وَالْمُصَلِّينَ عِنْدَ الْمَقَامِ، وَوَافَقَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ عَمَلِ الْفَارُوقِ.

وَقَدْ رَوَىٰ ذَلِكَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، وَكَذَا الْبَيْهَقِيُّ فِي إِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

«لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى» هَذَا الْقَوْلُ قَالَهُ عُمَرُ رضي الله عنه لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَافَقَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ قَوْلِهِ لِرَسُولِهِ ﷺ: «**لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ**

مُصَلًّى»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. أَخْرَجَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَتَجْدُرُ الْإِشَارَةُ إِلَىٰ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بَنَىٰ أَيْضًا الْمَسْجِدَ الْأَقْصَىٰ، وَقِيلَ: إِنَّ يَعْقُوبَ عليه السلام هُوَ الَّذِي أَسَّسَهُ، وَقَدْ كَانَ بَيْنَ الْبِنَائَيْنِ أَرْبَعُونَ عَامًا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ.

أَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَفِيهِ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عليه السلام هُوَ الَّذِي بَنَىٰ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَىٰ، فَالْمَقْصُودُ بِالْبِنَاءِ هُنَا: التَّجْدِيدُ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ السُّيُوطِيُّ، وَابْنُ الْقَيِّمِ، وَابْنُ حَجَرٍ، وَاسْتِعْمَالُ الْبِنَاءِ بِمَعْنَىٰ التَّجْدِيدِ وَارِدٌ فِي اللُّغَةِ، كَمَا قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

نَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَحْمِلَنَا إِلَىٰ بَلَدِهِ الْحَرَامِ، وَإِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، حُجَّاجًا وَمُعْتَمِرِينَ وَمُجَاوِرِينَ؛ إِنَّهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ، وَالْجَوَادُ الرَّحِيمُ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

www.menhag-un.com